شبكة إمام دار الهجرة العلمية

المشرف العام الشيخ حامد بن خميس بن ربيع الجنيبي

لمعة الاعتقاد

للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي

بشرح الشيخ

مصطفى بن محمد مبرم حفظه الله

الدَرسُ الخَامِس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدّين

أمّا بعد:

فهذه مذاكرة الدرس الخامس من شرح كتاب: لُمعَة الاعتقَاد للإمام : موّفق الدّين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدّسي -رحمه الله تعالى-

الصفة الخامسة عشرة : العلو

وَقَوْلُهُ تَعَالَى﴿أَأَمِنتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾الملك16

وَقَوْلُ النَّبِيِّ- صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (رَبُّنَا اَللَّهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ اِسْمُكَ).

وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : أَيْنَ اَللَّهُ؟ قَالَتْ فِي اَلسَّمَاءِ قَالَ: اِعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ (رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ أَنَس، وَمُسْلِم وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْأَئِمَّةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِحُصَيْنٍ) كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ سَبْعَةً ,سِتَّةً فِي اَلْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: فَاتْرُكْ اَلسِّتَّةَ ,وَاعْبُدْ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ (فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولَ) اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي. (

وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عَلَامَاتِ النَّبِيِّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَة: " أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالْأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُمْ فِي السَّمَاءِ . "

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَال: إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَة كَذَا وَكَذَا) وَذَكَرَ الْخَبَرَ إِلَى قَوْلِهِ) وَفَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ)

اشرح الآية ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾؟مبيّنا وجه الدلالة على صفة العلوّ ؟

قال ابن عباس : " أأمنتم عذاب من في السماء إذا عصيتموه"كذلك جاء عن غيره –رضي الله عنه و أرضاه–

قوله "فِي السَّمَاءِ " : –عند من يقول أن الحروف تتناوب قالوا أن **في** هنا بمعنى "على"

–و من لم يرى التناوب قال إن **السماء** المراد بها **العلو** فهي على ظاهرها {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}أي من في العلو

فهذه الآية دليل ظاهر على إثبات علو الله تعالى على عرشه .

اذكر بعض الأدلة على صفة العلوّ؟

– **من القرآن**: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}

–**من السنّة**: من السنّة الفعلية إشاراته –صلى الله عليه وسلم–في حجة الوداع إلى العلو مع قوله : ((اللهم فاشهد))ومن التقريرية سؤاله –عليه الصلاة والسلام–للجارية بقوله:"أين الله" فقالت في السماء فأقرّها.

–**الإجماع**: مسألة العلو والفوقية والإستواء من المسائل التي أجمع الأمة عليها إجماعاً ضرورياً و إذا نظرت في كتب الأئمة في ما يتعلق بالعلوّ والإستواء رأيت عجباً من الأحاديث والآثار بل ذكر بعض أئمة الشافعية كما ذكر عنه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في الإجتماع وفي الصواعق المرسلّة أنّه قد جاء في إثبات صفة العلو أكثر من ألف دليل . وحكي الإجماع على مسألة العلو في طبقات متقدمة من الأئمة كابن المديني المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين

(٢٣٤) فقد أجاب على سؤال من سأله عن قول أهل الجماعة وقال (يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السموات على عرشه أستوى) .

وصرّح بالإجماع غير واحد من الأئمة كابن راهويه ومن لا يحصيهم من الخلائق كالدارمي وابن بطة والأصفهاني والطلمنكي وابن عبد البرّ .

-**العقل و الفطرة** :الفطرة السليمة و العقول الصحيحة تؤمن بهذا و العباد يرفعون أيديهم ضرورة إلى السماء إذا أرادوا الإشارة إلى الله تعالى أو أرادوا دعائه ،من ذلك قصة أبي علاء الهمذاني مع الجويني عندما قال:حيرني الهمذاني لّما قال " إنا نجد في أنفسنا ضرورة إذا دعا أحدنا أن يرفع يديه إلى السماء فوضع يديه على رأسه و نزل من على المنبر و قال :حيرني الهمذاني".

ذكر المصنف في أدّلة صفة العلوّ حديث(رَبُّنَا اَللَّهُ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ تَقَدَّسَ اِسْمُكَ) ما درجة هذا الحديث؟

هذا الحديث إختصره المصنّف رحمه الله تعالى وهو حديث طويل في الرّقية والدّعاء للمريض، و قد اختلف في صحّته أهل العلم والخطّابيّ أعلّه ،لأنّ في إسناده زيادة ابن محمد الأنصاري، قال أبو حاتم "منكر الحديث"، وهذا الحديث له إسناد آخر من حديث فضالة بن عبيد إلاّ أنّه معلّ بعلّتين لأبي بكر بن أبي مريم وبجهالة الأشياخ الّذين ذكروا في الإسناد، هذا الحديث على كلّ حال قد أخرجه أبو داود

والتّرمذيّ والنّسائيّ وأحمد وغيرهم ولكنّه حديث ضعيف.

- قوله : رَبُّنَا اَللَّهُ : ضبط بالوجهين:

- ضبط بالرفع على أنّه مبتدأ وخبر

-وحكي أيضاً بالنّصب على حذف حرف النّداء رَبَّنَا اَللَّهَ، اَللَّهَ يكون هنا بدلاً ، اَلَّذِي هذا صفة موضّحة .

-قوله تَقَدَّسَ اِسْمُكَ هذا إمّا أن يكون خبراً بعد خبر أو إستئناف.

-وقوله كَمَا رَحْمَتُك بالرّفع لدخول الكاف على الجملة.

لماذا يسوق المصنفون بعض الأحاديث الضعيفة في كتبهم؟

- لأنّ هذه الأحاديث قد لا تكون شديدة الضعف وتكون في نظر هذا المصنّف من الأحاديث الثّابتة فيميل إلى تصحيحها ويحتجّ بها ويسوقها.
- هم لا يسوقونها إستقلالاً للإستدلال بها وإنّما يذكرون أدلةً من الكتاب والسنة ثم يذكرونها فهم يسوقون الأحاديث الضعيفة بعد ما هو أصحّ منها ،كما نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه "الإستغاثة في الردّ على البكريّ".

وَقَالَ لِلْجَارِيَةِ: أَيْنَ اَللَّهُ؟ قَالَتْ فِي اَلسَّمَاءِ قَالَ: اِعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ

مادرجة هذا الحديث؟

هذا الحديث رواه الإمام مسلم فهو في مرتبة عالية من الصحّة وإن جادل الجهميّة في ثبوته كالكوثريّ و من شايعه ، وقد رواه مالك أيضاً ورواه الأئمّة وأحتجّوا به، وهو حديث معاوية بن الحكم السّلميّ وهذا الحديث من السنّة التّقريريّة فإنّ الجارية أجابت بأنّ الله تعالى في السّماء و أقرّها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

هل الحديث: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِحُصَيْنٍ : كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ سَبْعَةً، سِتَّةً فِي اَلْأَرْضِ, وَوَاحِدًا فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، قَالَ: فَاتْرُكْ اَلسِّتَّةَ، وَاعْبُدْ اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ دَعْوَتَيْنِ (فَأَسْلَمَ، وَعَلَّمَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولَ : اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي)صحيح؟

. الحديث فيه ضعف

قوله :وَفِيمَا نُقِلَ مِنْ عَلَامَاتِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ: " أَنَّهُمْ يَسْجُدُونَ بِالْأَرْضِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَهُمْ فِي السَّمَاءِ" لما يذكر الأئمة مثل هذه الآثار التي لا إسناد لها؟

يعسر الوقوف على إسناد مثل هذه الآثار. وكثيرين من الأئمة من السابقين واللاحقين يذكرون مثل هذه الآثار والمقولات :

-من باب الإستشهاد و الاستئناس لا من باب الإستقلال بالدليل.

وهذا يدلّ على الكثرة المستقرّة في نفوسهم على علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه

- وهذا أمر لا إشكال فيه لأنّهم يتحدثون عن مسألة مستقرة ثابتة دلّ عليها نصوص الكتاب والسنّة والإجماع ، إجماع من جميع الأمم ومن جميع الملل على إثبات علو الله تعالى على خلقه ومن تأمل في قوله تعالى مخبراً عن فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ذكر ابن خزيمة في "كتاب التوحيد" أن فرعون ما قال هذا لموسى إلّا أن موسى أخبره بأنّ إلهه في السماء ،بل إنّ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في بيان تلبيس الجهميّة لما ذكر الإجماع على ذلك ذكر إجماع الطبقات المتقدّمة من الأشاعرة والماترودية والشيعة وغيرهم على أنّ الله تبارك وتعالى مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه.

★ مادرجة الحديث: وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:(إِنَّ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَة كَذَا وَكَذَا) وَذَكَرَ الْخَبَرَ إِلَى قَوْلِهِ: (وَفَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ ,وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ ذَلِكَ)؟

-جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقد أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهم وله طريقان حتّى قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مناظرة الواسطية قال (هذا الحديث مع أنّه رواه أهل السنن كابن داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم فهو مروي من طريقين مشهورين فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر) ، لكن ناقشه على هذا الكلام العلامة الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة، والحافظ الذهبي في كتاب العلوّ قال له طرق.

-وكذلك جاء من حديث العباس بن عبد المطلب بلفظ [والله فوق ذلك] وهو ما يسمى بحديث الأوعال وقد صححه ابن خزيمة والحاكم والبيهقي بل قال شيخ الإسلام تلقاه الأئمة بالقبول كما في فتاوى ابن القاسم رحم الله الجميع وإن كان الحديث قد ضعفه مثل البخاري والترمذي وابن عدي وابن كثير والحديث مختلف في وقفه ورفعه -حديث الأوعال-

★ ماهي أقسام العلو ؟

العلو ثلاثة أقسام:

- علو القهر
- وعلو القدر
- وعلو الذات .

ذكرها شيخ مشايخنا العلامة حكمي في بيتين فقال:

كذا له العلو والفوقية *** على عباده بلا كيفية

علو قهرٍ وعلو الشأن *** جل عن الأضداد والأعوان

★ أيّ الأقسام وقع فيه الخلاف؟

لم تختلف الأمة في علو القهر وعلو القدر بجميع مذاهبها وطوائفها وإنّما وقع الخلاف والنزاع في علو الذات فالمعتزلة وغيرهم يثبتون علو القهر ويثبتون علو القدر والمكانة والمنزلة إنّما نازعوا في علوه تبارك وتعالى على سمواته وإستوائه على عرشه جل جلاله وهذا المبحث من المباحث المهمة التي أولاها العلماء إعتناءً بالغاً وصنّفوا فيها الكتب.

العلو ثلاثة أقسام:

- علو القدر: وهو أن الله سبحانه وتعالى عظيم فليس فوقه عظيم ولا يُشبهه عظيم، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي له الخلق والأمر وحده كما أنه له العبادة وحده.

- الثاني علو القهر: وهو أن الله سبحانه وتعالى قاهر جميع مخلوقاته بسلطانه، ولهذا يقول أئمتنا أهل السنة والجماعة: "لا يقع في ملكه إلا ما يريد" ويقولون أحيانا: "لا يقع في ملكه إلا ما يريد فما لم يرده الله لم يقع" ليس هناك شيء خارج عن مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، فالخلق مسخرون كلهم بسلطانه.

- الثالث علو الذات: وهذا هو محل النزاع بيننا وبين المبتدعة؛ الجهمية، فالمعتزلة، فالأشاعرة، وجميع نفاة الصفات، سواء كانوا نفاة للصفات بالكلية وهم الجهميّة ينفون الأسماء والصفات، أو نفاة للصفات دون الأسماء.

  - فالأولى: هم الجهميّة نفاة الأسماء والصفات فهم أهل التعطيل الكلي.
  - أما الثانية: هم المعتزلة يثبتون الأسماء في زعمهم لأنّ إثباتهم لها بدون معاني مجردة وينفون الصفات كلّها.
  - والثالثة: هم الأشاعرة يثبتون بعضا وينفون بعضا.

فكل هؤلاء متفقون على نفي علو الذات عن الله عز وجل وأما أهل السنة فهم يثبتونه وبرهانهم في ذلك الكتاب، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى.

مستفاد من شرح عقيد الرازيين للشيخ عبيد الجابري –حفظه الله–

ولما ساق المصنّف رحمه الله تعالى هذه النصوص وهذه الآثار ختم هذا المبحث العظيم المهم بقوله:

فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا أَجْمَعَ السَّلَفُ –رَحِمَهُمُ اللَّهُ– عَلَى نَقْلِهِ وَقَبُولِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِرَدِّهِ، وَلَا تَأْوِيلِهِ، وَلَا تَشْبِيهِهِ، وَلَا تَمْثِيلِهِ

الإجماع في باب الإعتقاد منعقد وهذا الإنعقاد للإجماع ضروري لا يدفعه شيء والأهواء التي تسلطت على أصحابها لا تردّه أبداً .

الصفة السادسة عشرة : الكلام

فصل

وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ ,يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ.

وَأَنَّهُ– سُبْحَانَهُ– يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ ,وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيَزُورُونَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾)النساء: ١٦٤.(

وَقَالَ سُبْحَانَهُ :﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾)الأعراف: ١٤٤.(

وَقَالَ سُبْحَانَهُ :﴿ مِّنْهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ﴾)البقرة ٢٥٣.(

وَقَالَ سُبْحَانَهُ :﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب﴾)الشورى:٥١.(

وَقَالَ سُبْحَانَهُ :﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾)طه:١١(

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾)طه:١٤.(

غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اَللَّهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– إِذَا تَكَلَّمَ اَللَّهُ بِالْوَحْيِ ,سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .–

وَرَوَى عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ) يَحْشُرُ اَللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمُلْكُ، أَنَا الدَّيَّانُ (رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ ,وَاسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِي.

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ "أَنَّ مُوسَى– عَلَيْهِ السَّلَامِ– لَيْلَةً رَأَى النَّارَ، فَهَالَتْهُ فَفَزِعَ مِنْهَا ,فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا مُوسَى، فَأَجَابَ سَرِيعًا اِسْتِئْنَاسًا بِالصَّوْتِ فَقَالَ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ، وَلَا أَرَى مَكَانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ أَنَا فَوْقَكَ وَأَمَامَكَ وَعَنْ يَمِينَكَ وَعَنْ شِمَالِكَ فَاعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا للهِ تَعَالى، قَالَ :كَذَلِكَ أَنْتَ يَا إِلَهِي أَفَكَلَامُكَ أَسْمَعُ أَمْ كَلَامُ رَسُولِكَ قَالَ :بَلْ كَلَامِي يَا مُوسَى."

★كيف يثبت أهل السنّة والجماعة صفة الكلام لله؟

الكلام من صفات الله الثابتة له بالكتاب و السنّة و إجماع السلف فيثبته أهل السنّة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهو كلام حقيقي يليق بالله ،يتعلق بمشيئته، و بحروف ،و أصوات مسموعة.

★قوله:" وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى " لماذا يذكر المصنفون في مختصرات العقيدة عند سياق النصوص من التبعيضية ؟

يستعملون "مِن" للدلالة على أنّهم لا يريدون الإستقصاء وإنما يذكرون ما يُحتذى به فيه.

★قوله :" ، أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ," لماذا استعمل العلماء لفظ "قديم"؟

لفظ "**قديم**" استعمله الأئمة – رحمهم الله تعالى– لبيان أنّ صفة الكلام لله تعالى أوّلية قديمة وأنّه تبارك وتعالى متكلم متى شاء كيفما شاء، وكما يُعبّر المتكلمون: في الأزل أو أولياً.

★ ما نوع صفة الكلام؟

صفة ذاتية فعلية .

وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد:

ومعنى قديم النوع أن الله لم يزل، ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن.

ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

مستفاد من شرح اللمعة للشيخ محمد صالح بن العثيمين –رحمه الله–

كيف تردّ على من ينكر صفة الكلام؟

☒ نردّ عليه بالأدلة من الكتاب و السنّة و إجماع السلف فمنها:

من القرآن : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وقال سبحانه: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ وقوله تعالى : ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾

و قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾

وقوله : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾

من السنّة: حديث عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– إِذَا تَكَلَّمَ اَللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .
وحديث عَبْدُ اَللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ : ((يَحْشُرُ اَللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمًا فَيُنَادِيهِمِ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ))

☒ ونقول له :الربّ جلّ وعلا بيّن نقص آلهة المشركين التي يعبدونها بسبب أنّهم لا يتكلّمون، فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾،و قال ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ في قصة موسى عليه الصلاة السلام ، فإذا كان هذا ممّا يُعاب في آلهة المشركين فإنّ من قال بأنّ الله لا يتكلم فقد أنزله هذه المنزلة نسأل الله العافية والسلامة، فالله جل وعلا من صفاته الكلام.

☒ العلماء يقولون بأنّ الشيء إذا وُصف أو ذُكرت بعض أفراده فإنّ هذا يدلّ على الحقيقة وعلى تأكيدها، فإذا نظرت إلى صفة الكلام رأيت أن الله جلّ وعلا وصف نفسه بالكلام وما تصرّف منه: "تكليما" و"كلّم" و"يكلّم" ووصف نفسه بالنّداء ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾[مريم:٥٢] ، ووصف نفسه بالمناجاة ﴿وقرّبناه نجيّا﴾ ووصف كلامه بالصّدق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ، ووصف نفسه بالنّداء قال ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ فالله جلّ وعلا نادى موسى وناجاه وكلّمه وقال له سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ، هذا كلّه في موسى عليه الصلاة والسلام.

★ من الذين سمعوا كلام الله من غير واسطة ؟مع ذكر الدليل .

– **سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة** قال سبحانه: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾

وقوله : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾

- **وسمعه جبريل عليه السلام**، بدليل حديث أبي هريرة عند البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣]،و حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أنّه عليه الصلاة والسلام قال: [إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل: يا جبريل....]

- **ومن أذن له من ملائكته ورسله** بدليل حديث أبي هريرة في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ: ٢٣]، و قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.وقوله تعالى : ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ وذلك يدخل فيه بعض الرّسل، فقد كلم الله جل وعلا آدم عليه الصلاة والسلام في الجنّة، وكلم موسى ، وكلم نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج.

★هل يكلم الله المؤمنين في الآخرة؟الدليل؟

نعم ، قال المصنف: "**وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه**" كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وكما جاء في الصحيحين ،أنّه يقول: [اليوم أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط أبداً] .

★ قال:﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ما وجه الشاهد من قوله ﴿تَكْلِيمًا﴾؟

﴿تَكْلِيمًا﴾: مصدر ، كّلم يكلّم فهو مُكلِّم فهذا التأكيد:

ينفي المجاز ويؤكّد الحقيقة ويرفع ما تقوله الأشاعرة من الحكاية أو العبارة أو ما شابه ذلك. فالربّ جلّ وعلا وصف نفسه وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

★ بما ترد على من يقول لك أنّ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ الله بالنصب لا الرفع اذن الكلام ينسب لموسى عليه السلام لا لله؟

مما يذكره العلماء في هذا المقام أن أبا عمرو بن العلاء وهو أحد القرّاء السبعة جاءه رجل فقال لم لا تقرأ: وكلّم اللهَ موسى تكليما ؟ فقال: هب أني فعلت ذلك كيف تفعل بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ فبهت ،لأنّه إذا قال وكلّم الله موسى، فموسى : لا تظهر عليه علامات الإعراب فتكون العلامة مقدّرة يمنع من ظهورها التعذّر فتستطيع أن تقدّرها رفعاً أو تستطيع أن تقدّرها نصباً لكن إذا قلت: وكلّم اللهَ هذا لم يحتمل الأمر إلّا أنّ موسى هو المتكلم مع الله هذا باطل بلا شكّ .

★ ما وجه الدلالة على صفة الكلام في قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾؟

قوله : ﴿وَبِكَلَامِي﴾إذا لم يكن كلامه جلّ وعلا على الحقيقة لا المجاز، فما الذي اصطفى به موسى ؟

★ما وجه الدلالة على صفة الكلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ؟

لأنّه غير جائز أن يقول هذا أحدٌ غير الله ، فالقائل هو الربّ جلّ وعلا المعبود يقوله لموسى عليه الصلاة والسّلام.

استفاد المصنّف هذا التعليق من كلام الإمام أحمد ومن كلام غيره من الأئمّة لأنهم نصّوا على هذا.

★ما الشّاهد من حديث عبد الله بن مسعود الذي أورده المصنف على صفة الكلام؟وما يستفاد من هذا الحديث؟

الشاهد: [إذا تكلّم الله بالوحي سمع صوته أهل السّماء]

يستفاد منه: إثبات الصوت لله تعالى فإثبات الصوت لله جلّ وعلا ممّا يدين به أهل السنّة والجماعة ويعتقدونه ويقولون الكلام والخطاب لا يكون إلا بصوت وأمّا حديث النفس فإنّه لا يُسمّى كلاما لأنّ الكلام فيه قوّة.

★ما الدليل على أنّ كلام الله بصوت؟

حديث عبد الله بن مسعود : [إذا تكلّم الله بالوحي سمع صوته أهل السّماء].

وحديث عبد الله بن أُنَيْس عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنه قال: [يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بُهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب أنا الملك أنا الدّيّان] - حديث صحيح-

★كيف تردّ على من يقول أنّ كلام الله قائم بنفسه بلا صوت مسموع؟

- نردّ عليه بما سبق من الأحاديث والآيات الدّالة على أنّ كلام الله بصوت أمّا حديث النفس فلا يسمى كلاما لأنّ الكلام فيه قوّة.
- و نردّ عليه بقول النبيّ -صلى الله عليه وسلم- في ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة [إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفُسَها- أنفُسُها- ما لم يتكلموا أو يعملوا]، فقوله: ما لم يتكلموا أو يعملوا فرّق النبيّ عليه الصلاة والسلام بين حديث النفس وبين الكلام.
- ونردّ عليه بإجماع السلف بل حتّى من طوائف أهل البدع ممن وافقت قول أهل السنة والجماعة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى وتلميذه ابن القيم .

انتهى و لله الحمد و المنّة